المقدمة

منذ حداثة سنى وأنا أنظر إلى الأمور نظرة تدقيق ، وفحص وتمحيص ،ولا أدع أمراً يمر أمامى مر الكرام مهما لطف ،وكنت أحاول أن أرد كل أمر إلى صحته حسب إدراكى للصحة فى كل مرحلة من مراحل حياتى ، وكلما رأيت تصرفًا من أحد حاولت أن أعرف هل هذا يجوز أو لا يجوز ؟ وهل هذه السلوكيات لها علاقة بالإسلام أم لا ، وكنت أحكم على الأمور من منظور دينى بحت، وأقيسه على ما أدركت منه قدر فهمى للدين فى كل مرحلة .

كما كان لى فى مسألة الجبر والإختيار رأياً أحمد الله أنه وافق رأى الشيخ الشعراوى ،وأنكرت ما يحدث فى المساجد الموجود بها المشاهد وأضرحة الرجال الذين قضوا والله أعلم بصلاحهم ، وغير ذلك كثير مما لم يوافق هواى وفى زيارات لبعض البلدان العربية والإسلامية وجدت ما يجعل المرء يظن أنه فى بلدان ليس لها علاقة بالإسلام ، لما فيها من رقص متجرد ،وبيوت للفجور وأعمال نتن ودياثة مقننة ، وأعمال تشبه أعمال قوم لوط ، وعقود للتوظيف لا تختلف فى شكلها عن الرق القديم إلا فى الاسم ، وغير ذلك بما لا يوصف كثرة وما يصاحبه من تشريعات شرعت لتفيد ذوى السلطان ،وتحمى مصالحهم وتفسيرات لها على هوى

ذوى المصلحة وأقلام غير متخصصة تكتب فى كل ما يعن لها حتى الدين بما يوافق هوى الشيطان ،ويخالف ما نص الله عليه ورسوله ،وما أجمع عليه أهل العلم لا لشئ إلا ارضاءاً لشهوات الطمع فى مكسب دنيوى زائف ، أو قل هو الغل الدفين والرغبات الملحة فى الكيد للدين وأهله ، أو رغبة فى إرتقاء كراسى أعلى ٠

اختفى تقريباً كل شئ جاد ، وضعف الوازع الدينى ،أو لنقل كاد التمسك بالدين يذهب بالكلية ،وأصبح كل شئ صحيح إما أن يذهب خلف الأسوار أو تكمم أفواهه ، أو تشترى ذمم الضعاف منهم ، أو يوصموا بالإرهاب والتطرف والقصور عن فهم الدين على وجهه الصحيح ، وكان طبيعياً من هذه المقدمات أن يذهب كل ذى فكر دينى مستنير خلف القضبان بحجة كونه خطراً وأن لا تنقطع صور الشهداء من شبابنا المسلم المجاهد من الصحف ،أو شاشات التلفاز ، وتقتل الأطفال والنساء والشيوخ ،فقد ذهب الشرط (إن تَنْصُرُوا اللَّـهَ) فذهب جواب الشرط (يَنصُرْكُمْ) ،وإخواننا فى البلاد العربية والإسلامية أصبحوا نهباً مباحاً لليهود ،والدمى التى يتلاعبون بها سواء أمريكا أو إنجلترا وذيولهما ، والعائدون من أداء فريضة الجهاد يبادون بأيدى أولى الأمر المسلمين ، والمتمسكون بالكتاب والسنة يسمونهم مرة سلفيين ومرة جهاديين ، وكأن إتباع السلف سبة أو وصمة، وكأن الجهاد أمر بالى رث ، أو أن الجهاد شئ غير حضارى كما يحلو لهم أن يتشدقوا، وكأن المسلمين

ذوى طابع خاص وسمات نأت بهم بعيداً عن الدين فى زعمهم فما استحقوا أن يسمونهم مسلمين والمجاهدين أصبحوا إرهابيين، والأغرب أنهم لما كانوا فى معية أصحاب القضية كانوا مجاهدين ،وكانت كلمة المجاهدين خاصة فى أفغانستان لا تغيب عن أعين القراء إلا قليلاً، أما وقد صاروا ضد مصالح حكام المسلمين والعرب مع الكفر وأهله ،فقد صاروا إرهابيين إرضاءاً لخاطر قوى الكفر وأعوانها كل ذلك بمعونة بعض ذوى السلطان ،وبتلميح من طرف خفى أن يكون ، ولا مكان لمن يعترض إلا خلف الأسوار،أو خارج البلاد ، والأمثلة على ذلك كثيرة ،وعلى الجملة لم أر عصرًا جفت فيه ينابيع الفضائل ، وجمدت فيه مصادر الخير وهى السبب الموصل من السماء ،وبعدت فيه الانسانية عن تعاليم الدين مثل هذا العصر ، وما لذلك من سبب إلا لإقصاء الإسلام عن حق التوجية والقيادة للبشرية ،وتفريط أهل الإسلام له دخل كبير فى المصير إلى هذه النتيجة المؤلمة .

كل هذا أصابنى بألم شديد ،ورغبة عارمة فى وضع هذه الأوضاع موضع التفنيد ، ومعرفة موقفها من الإسلام ، وموقف الإسلام منها ومعرفة الحدود التى تحدد الدائرة التى يكون المرء داخلها مسلماً ، وأين موضع الخروج من الدين خاصة وأنا مسلم يعرف أن معرفة التعاليم الدينية فرض عين يأثم المهمل لها ، ففرض على كل مسلم أن يعرف أمور دينه معرفة صحيحة فلربما أكون مصلياً مزكياً حاجاً ،ولكنى لست بمسلم أو مسلم مقصر ذهب به تقصيره وعدم فهمه إلى الخروج من

الدين ، أو متشدداً ذهب به تشدده ذات المذهب فكلا طرفى القصد ذميم ، وربما أكون مسلماً ولكن يوجد نص فى القلب منه شئ من الشك ،ويكون هذا الشك إرتداداً عن الدين وأشياء كثيرة دفعتنى إلى محاولة معرفة حدود الإسلام ،وحدود الكفر فلما اشتدت بى الرغبة فى الحصول على معرفة قاطعة عن الحدود التى تفصل بين الكفر والإيمان أخذت معولى ،وشمرت عن ساعدى واجتهدت فى البحث فى هذا الموضوع فأسرتنى كتابات الشيخ الجليل أحمد بن تيمية ، وكلام الشيخ عز الدين بن عبد السلام وبعض تفسيرات الشيخ الشعراوى ، والشيخ محمد الغزالى وكثيرين وقع كلامهم فى نفسى على ذات الموقع الذى كنت أهوى أن يقع عليه ووافق كلامى كلامهم فحمدت الله على ذلك ، ولكن من كان له أكبر الأثر عندى هو شيخ الإسلام ابن تيمية لكون كل شئ عارضته ،ورفضته وصادف رفضه هوى نفسى ، وجدت إعتراضى عليه موافقاً لكتاباته ، وانكارى للصوفيه مطلقاً ، وحلمى فى إقلاع مدعو التدين عن ما يأخذوا من مظاهر جوفاء ، وعن تماوتهم وصعلكتهم وجدت كل ذلك عنده المهم ان كتابات هذا الشيخ الجليل وجدت فيها ما يروى الظمأ ،ويطفئ لهيب الشوق الى معرفة الحد الفاصل بين الإسلام والكفر ،وكان دافعى إلى الكتابة فى هذا الموضوع هو محاولة إشعال بصيص من النور يهدينى ويهدى معى من يحاول أن يسير على ذات الطريق ، فيعرف حدود الشر الذى إن زلت فيه قدم ولم تتب ،خلدت فى الجحيم ، وأيضاً لأنى وجدت معظم ما تزخر به المكتبة الإسلامية يتحدث عن الإيمان ،وسير المؤمنين ،والمعاملات ،والعبادات ،وعن التوحيد وعن فقه كذا ٠٠٠ وكذا ، فأردت

أن أضيف موضوع عن الكفر إلى القليلين الذين كتبوا فيه لأضع به أمام أعين القراء الحدود التى تخرج بالمرء عن الدين ،فاحمى نفسى ،وأحميهم من خطر الوقوع فى الردة كما وجدت بحس المسلم أن هذا الموضوع هو من أكثر الموضوعات أهمية فى حياة المسلم خاصة فى ظل هذه الأوضاع المتردية ، والتى لم يعد للدين فيها أى دور فى حياة معظم الناس الذين يفترض أنهم مسلمون ، فلقد تم إبعاد الدين كمنهج عن الحياة العامة وحوصر حتى أصبح مكانه دور العبادة فقط ، فقديماً كان السباق داخل روضة الإيمان فكان لزاماً أن يكون الكلام عن الإيمان أما وقد اختلت الأوضاع فقد لزم التنبيه على الحدود التى يخشى على المرء ان جاوزها أن يخرج من دينه فقد كثر اللغط، واختلطت الأمور وأدار حركة حياة الناس ، وأثر فيهم من لا يحسن قراءة الفاتحة أو يستطيعها فى أسوأ الأحوال ،وهذا ما دفع بعض علماءنا إلى محاولة تحديد المعرفة الدينية الأساسية للعامة وإبعادهم عن امور يرفضون عليهم ان يتناقشوا فيها حرصاً عليهم من الخوض فى أمور قد يستعصى عليهم فهمها

قرأت قول الشيخ محمد الغزالى فى كتابه فى موكب الدعوة صفحة ٢٣٩ (وجدت مرة أنى كنت أحذر الناس من جريمة القتل، وذكرت عقاب من يرتكبها قول الحق سبحانه (وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُّتَعَمِّداً فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً) فإذا رجل يصيح هل الخلود على وجه التأبيد ؟ فعرفت أن فى دماغ الرجل كلاماً من علم الكلام ،وأنه وصل إليه طرف مما دار من جدال بين كبار العلماء فى

هذا الموضوع ورجعت إلى نفسى وأنا محنق أتساءل ماذا لو حددنا المعارف التى تلقى إلى الجماهير وحصرنا الدائرة التى يفهمون فيها الكتاب والسنة وتركنا الترف العقلى يأخذ مجراه بين المتعطلين والمتبطلين) ورغم إجلالى لقدر الشيخ الغزالى إن لم أكن أسأت فهم قصده فى عبارة تركنا الترف العقلى اختلف معه فى جعل الدائرة التى يفهم فيها الجمهور الكتاب والسنة وهى على حد قوله فى أمور الأخلاق ومناهج الآداب العامة وان يكون الكلام عن الآثام التى قد يصل مرتكبها إلى حد الكفر والتى قد تخرج عن الملة والتى يستوجب فاعلها الخلود فى الجحيم على التأبيد هى من قبيل الترف العقلى بل انى أرى أنه من الواجب أن يعرف كل مسلم ما هى الحدود التى ان جاوزها أصبح غير مسلم فأى شئ يبلغ أهمية أن يعلم المرء ما هى الطريق التى ان سلكها كان من أهل النعيم وان حاد عنها كان من أهل الجحيم خالداً فيها أبداً ؟ ، كما لمست كثرة الكلام عن التكفير من أحداث أسنان دفعتهم حمية الشباب،وقلة التفقه فى الدين وتمسك بعضهم بظواهر النصوص من مثل(مَن لَّمْ يَحْكُم بمَا أنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ)(١) إلى تكفير أناس بأعيانهم ولان موضوع التكفير غاية فى الأهمية والخطورة - فمن يجرؤ على الفتيا بتكفير أحد ؟- لذلك كتبت فى هذا الموضوع ولا يجرؤ على الفتيا بذلك الا عالم مجتهد ملم الماماً تاما بكل الشروط التى ان توافرت جميعها حكم بالكفر وان امتنعت جميع الموانع التى تمنع من الحكم بذلك حكم به من

١) سورة النساء آية ٩٣

أجل ذلك خضت فى هذا البحر الخضم فوجدت انه ليس وليد اليوم ولكن ظهر فى بعض العصور من اهتم بهذا الموضوع وكتب فيه ومن شدة حرصهم على شئون مجتمعاتهم وقضاياها اخذوا يناقشون على غير نضج قضايا كثيرة ومنها مفاهيم الحكم فأصدروا فتاواهم بان كل من لم يطبق تعاليم السماء فهو كافر ومادام الحكام لا يحكمون بالإسلام فهم كفار فى رأيهم وان صلوا وصاموا لذلك دفعتنى رغبة ملحة قاومتها لفترة أن أضع بين يديك خلاصة ما خرجت به من البحث والقراءة ٠

إن شر ما تبتلى به أمة من الأمم هو أن تنتشر فيها الضلالات وتختلط المفاهيم حتى تسودها الفوضى الفكرية واشد ما تكون الإصابة فتكاً عندما تتلبس الضلالات بالدين ٠

ولقد هدانى الله فقمت بجعله أبواباً بدايتها نهاية الدنيا ثم البعث ،وهول الموقف ثم بداية الحساب والشفاعة ونهاية الحساب ودخول أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار، ثم الخلود النهائى فلا موت ولا فوت ، ثم عدوت عدواً إلى صلب الموضوع ، وهو الكفر فكان لابد من الحديث عن تاريخ الكفر ومعناه ، والفرق بين كفر العام والمعين والفرق بين الكفر بجحد ما علم من الدين بالضرورة والكفر بالشرع والكفر بالعقل ومتى يتم الحكم على إنسان بالكفر ، ومن هو الذى يحكم بالكفر وعقاب المسلم المرتد وحتى يستكمل الموضوع كان لابد من عرض لبعض صور الكفر والتى تم تقسيمها على أساس باب للتكفير بنص قرآنى وباب للتكفير بنص

حديث النبى ﷺ ثم باب للتكفير بفتاوى العلماء واجتهاداتهم وعلاقة ذلك جميعه بالكفر ثم عمدت إلى تقسيم الفتاوى إلى عدة فصول فصل يتعلق بالتكفير بعلة جحد آيات الكتاب وفصل يتعلق بالتكفير بعلة جحد الأحاديث النبوية الثابت صحتها ثم فصل لاجتهادات العلماء والتكفير بالقياس ثم وجب تذييل الموضوع بطاقة نور وأمل لمن زلت قدمه فى أحد الأفعال الوارد ذكرها بعد فجعلت باباً للتوبة هو آخر الأبواب ، ولا أنسب لنفسى فضلاً فى إخراج هذا العمل إليكم فالفضل كله لله ، ثم للعلماء الأجلاء الذين تحملوا عبء البحث وعناء المذاكرة والمجاهدة جزاهم الله عنا وعن الإسلام خير الجزاء ٠

الإسماعيلية فى ١٧ رمضان ١٤١٤هـ

أسامة عبد الرحمن